

السياحة السوداء في سورية

الدكتور أحمد السكري

(كلية إدارة الأعمال ، جامعة المنارة)

البريد الإلكتروني: soukary1983@gmail.com

الملخص

تلعب السياحة دوراً أساسياً في النمو الاقتصادي للكثير من الدول، ومع تنوع وتطور حاجات ورغبات وسلوكيات السياح حول العالم ظهرت أشكال ومظاهر سياحية جديدة قد تكون غريبة بعض الشيء، ومن هذه الأشكال لدينا السياحة السوداء أو السياحة المظلمة (Dark Tourism) التي تتعلق بزيارة مناطق الموت، الحروب، الكوارث... الخ من أماكن سوداوية أو تتعلق بأحداث مأساوية. إن الحديث عن السياحة السوداء في سورية هو الدافع الأساسي وراء البحث في هذا الموضوع ومحاولة تقديمه بصورة بسيطة تضيء على جانب سياحي هام غير مستثمر ضمن هذا البلد الذي عانى حديثاً من ويلات الحرب على مدى عقد كامل من الزمن. وبالتالي يمكن البحث في استثمار مقدرات البلد السياحية عبر إدراج هذا النوع من السياحة ضمن البرامج والاستراتيجيات السياحية الحالية والمستقبلية، خاصة وأن سورية كانت تعول كثيراً على السياحة العادية بصفة عامة كبديل هام وداعم للاقتصاد الوطني من حيث مساهمته في زيادة الناتج المحلي وخلق الثروة وتوفير القطع الأجنبي وزيادة فرص العمل.

كلمات مفتاحية- السياحة السوداء (المظلمة) ، السلوك المخطط.

1. مقدمة

معتدلة وسواحل مميزة، وخلال الأزمة التي مرت بها البلاد بداية من عام 2010 والتي استمرت لعقد من الزمن، فقد اكتسبت مواقع عديدة في سورية رغبة السياح وفضولهم لزيارتها والتعرف عليها عن قرب، مثل قلعة حلب، مدينة تدمر، المسجد الأموي، مشفى الكندي، سجن حلب المركزي، مدينة عدرا العمالية والكثير من المناطق التي عانت من ويلات الحرب والإرهاب الوحشي الذي طال الحجر والبشر. ومن اللافت أن مفهوم السياحة السوداء في سورية بدأ يكتسب اهتماماً واضحاً خلال الأعوام الماضية، فالسياح العرب والأجانب وحتى السياح المحليين قد أبدوا اهتماماً متزايداً بزيارة المناطق التي حدثت فيها معارك ومجازر في حلب، دمشق، اللاذقية وغيرها من المدن للاطلاع على آثار الخراب والدمار والوحشية التي خلفها الإرهاب والوقوف على أطلال تلك الحرب وما خلفته من مآسي وكوارث. من هنا كان لابد من النظر إلى مفهوم السياحة السوداء بإيجابية بحيث يمكن استغلال هذا المفهوم لتحقيق مكاسب اقتصادية واجتماعية وثقافية، ولهذا سنتناول هذه

إن مفهوم السياحة السوداء هو مفهوم حديث نسبياً قد تمت دراسته خلال العقد الأخير من الزمن، كما أن كلمة السياحة السوداء شائعة جداً في العالم المعاصر. في الواقع، هناك أماكن لا حصر لها في جميع أنحاء العالم تشتهر بالسياحة السوداء التي تأخذ الزوار إلى الأماكن المرتبطة بالمأساة والمعاناة أو إلى المناطق التي تعتبر من المحرمات والتي لها تأثير غريب على نفسية ومشاعر الإنسان. بعض الأمثلة على الأماكن السياحية المظلمة حول العالم هي ساحات النزال والمصارعة في روما، مواقع الصلب والحديد والمدافن في أمريكا، مواقع عمليات الإعدام العلنية خلال العصور الوسطى في أوروبا والهند... الخ. واحدة من طرق فهم السياحة السوداء هي زيارة الوجهات والأماكن المظلمة المرتبطة بالحروب والمآسي والكوارث. لقد كانت سورية من البلدان الهامة وذات تصنيف متقدم على مستوى العالم في مجال السياحة والسفر، كونها تحتوي مواقع أثرية وقلاع تاريخية ومناظر جبلية ساحرة وبيئة

والتقدير لتضحيتهم بحياتهم من أجلهم وأجل بلادهم. من جهة أخرى قد يعتبر التراث وعبق التاريخ بمثابة الدافع لزيارة بعض المواقع المرتبطة بالسياحة السوداء، حيث تفعل هنا عوامل الدفع الداخلية لدى البعض فعلها مثل الشعور بالملل ورتابة الحياة والحاجة إلى نوع جديد من التشويق لإزالة الهم والترويح عن النفس والراحة من روتين الحياة القاسي. أيضا قد تلعب عوامل الجذب السياحي المتعلقة بالمكان نفسه عاملا حاسما في دفع الأفراد لزيارة بعض الأماكن السوداء، نتيجة ما تقدمه تلك الأماكن من فرص خوض تجارب جديدة أو برامج ترويج وجذب سياحي شيقة. أيضا قد يكون التشويق والسعي للمخاطرة أمرا جاذبا لبعض السياح الذين يحبون المغامرة والإثارة وهذا ما يدفعهم لزيارة أماكن مازالت خطيرة ومجهولة. من جهة أخرى قد يدفع الفضول البعض للتعرف على أماكن تعرضت لمآسي مثل المجازر وجرائم الإبادة الجماعية والكوارث الطبيعية. أيضا قد يكون اكتشاف الذات وحسب الظهور ومدعاة التفاخر أمام الغير هو أحد الأسباب التي تدفع البعض لزيارة أماكن السياحة السوداء.

IV. بعض نماذج السياحة السوداء

1. **سياحة الإبادة الجماعية:** تعتبر سياحة الإبادة الجماعية من أهم نماذج السياحة السوداء وأكثرها تطرفا. عند الحديث عن هذا الشكل من السياحة قد يتبادر للأذهان محارق الهولوكوست باعتبارها الصورة النموذجية للإبادة الجماعية في العالم، إلا أنه من الضروري التطرق لتعريف هذا الشكل حيث يعتبر مصطلح "الإبادة" حديثاً ويقصد به في اللغة اللاتينية قتل جمع من الناس أو عرق من الناس. قد يرى البعض أنه من غير المرجح الجمع بين مصطلحي "السياحة" و"الإبادة الجماعية"، بيد أنه ولإعطاء فكرة عن "سياحة الإبادة الجماعية" تجدر الإشارة إلى أنه مع مطلع التسعينيات شهد موقع معقل أوشفيتز في ألمانيا زيارة حوالي نصف مليون سائح سنويا، ثم ارتفع هذا العدد في وقتنا الحالي إلى أكثر من مليون سائح سنويا. أيضا تجذب رواندا حاليا حوالي 11 مليون سائح سنويا لزيارة النصب التذكارية للإبادة الجماعية التي تعود للعام 1994، ولاسيما نصب كيغالي ونصب كنيسة نتاراما. إن مصطلح "الإبادة

الدارسة المفاهيم النظرية والأساسية التي تخص السياحة السوداء من حيث تعريفها، نماذجها، أنواعها، وسبل تطويرها والاستفادة منها.

II. مفهوم وتعريف السياحة السوداء

إن أول من تكلم في السياحة السوداء هما الباحثان فولاي ولينون في بدايات القرن العشرين حيث أشارا لها بأنها: "ذلك المنتج القائم على الموت والكوارث والفظائع؛ فهو مزيج من العوامل الحديثة والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والسوسولوجية والتكنولوجية، التي جعلت من بعض المواقع والأحداث منتجا للسياحة المظلمة". ثم توالت بعدها محاولات تعريف السياحة السوداء من قبل العديد من الباحثين والمؤلفين الذين استند غالبيتهم على وجهة نظر فولاي ولينون المشار لها في الأعلى. يمكننا تعريف السياحة السوداء على أنها السفر لزيارة المواقع المرتبطة بالموت والمعاناة والمآسي الإنسانية ومختلف أنواع الفظائع والرعب والدمار وكذلك الكوارث الطبيعية والصحية، سواء كانت هذه المواقع على علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الموت والمعاناة والعنف مثل: المقابر، ساحات القتال، ومواقع الإبادة الجماعية أو التي قد تم إنشاؤها لتعكس هذه المظاهر والملاحم مثل: النصب التذكارية والمتاحف. وهنا تجدر الإشارة إلى أن مفهوم السياحة السوداء قد انحرف حديثا بعض الشيء عن مفهومه الأصلي ليتجه نحو كل ما هو غريب وخارق وغير مألوف من التسلية أو المتعة المظلمة.

III. أسباب الانجذاب للسياحة السوداء

لكل أسبابه الخاصة وراء نوع السياحة التي يفضلها سواء كانت دينية، علاجية، بيئية، ثقافية... الخ. تعتبر السياحة السوداء أحد أنواع السياحة الحديثة نسبيا والتي باتت تفضلها أعداد متزايدة من السياح، وذلك لشعورهم بالانجذاب والإثارة والحنين إلى مآسي تاريخية قد مضت أو الفضول إلى التعرف على تلك المآسي وأسبابها عن قرب. فمثلا هناك أناس قد خاضوا حروبا ومعارك في أماكن معينة ونجوا منها، فهؤلاء قد يكون من دواعي سرورهم زيارة تلك الأماكن والوقوف عليها. أيضا قد يميل بعض الناس لزيارة أسلافهم المتوفين في الحروب والمعارك كنوع من الامتنان

في عام 1815 بين الإنكليز والفرنسيين والتي هزم فيها نابليون بونابرت. في هذا السياق، يمكن اعتبار سياحة ساحات القتال أحد أشكال السياحة السوداء، وهو ما أكده الباحث ستون في عام 2012 حين أدرجها في سلمه ضمن أكثر أصناف السياحة سواداً، وذلك لتعلقها الكبير بالموت وبالدرجة الثانية بالأصالة؛ كما تعتبر بعض المواقع أكثر سواداً من أخرى نسبة لقصر أو طول المدة الزمنية الفاصلة عن حدوثها، فعلى سبيل المثال لدينا الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين يمكن اعتبارهما أكثر حداثة من حروب أخرى وبالتالي أكثر سواداً منها، غير أن الاعتماد على معيار الفاصل الزمني وحده لتصنيف هذه المواقع والأحداث غير كاف، حيث لابد من معايير أخرى كالموقع الجغرافي وطبيعة ساحات القتال والبنى التحتية السياحية والتغطية الإعلامية ووجهة نظر السياح، كلها تلعب دوراً في تحديد درجة سواد هذه المواقع. أيضاً يمكن لهذه المواقع في بعض الأحيان أن تصبح أقل سواداً من خلال النشاطات الترفيهية التي قد يتم تنظيمها فيها مثل إعادة عرض أو تمثيل الأحداث. وعليه، فقد عرفت سياحة ساحات القتال خلال العقد الماضي تزايداً ملحوظاً، مما يعكس تطور هذه السياحة بشكل عام. أيضاً من الملاحظ أن هذا النوع من السياحة لا يتعلق بساحات القتال والمعارك فقط بل قد يمتد للنصب التذكارية والمقابر والمتاحف والهياكل والأماكن التي تقوم بإحياء الحروب والمعارك وجرائم الحرب والأحداث البشعة وكل ما يتعلق بها، وسرعان ما تبع هذا التيار حملة من الجولات السياحية المحلية لتلبية رغبات الزوار، فنجد مثلاً المملكة المتحدة التي قامت بتنظيم عدة جولات سياحية إلى بروكسل وواترلو منذ العام 1900، كما قام توماس كوك بحلول أوائل القرن العشرين بتنظيم أول جولة سياحية إلى ساحات قتال جنوب إفريقيا المتعلقة بالحرب البويرية وذلك قبل توقيع السلم بين الطرفين وإنهاء العداء بينهما سنة 1948. وفي ذات الفترة تقريباً

الجماعية" تم ذكره لأول مرة في عام 1933 من قبل الدكتور البولندي رافايال حين استعمله لوصف مجزرة المسيحيين الآشوريين في العراق، وبعد سقوط ألمانيا النازية قامت الأمم المتحدة سنة 1945 بتكريس هذا المفهوم في سياق القانون الدولي، من خلال تبني اتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها؛ وقد حصرت هذه الاتفاقية معنى الإبادة في القتل الجماعي للأشخاص على أساس عنصري وليس سياسي أو اجتماعي وقد تم تفعيلها عدة مرات. وعليه فإن المواقع التي تعتبر معالم جذب لسياحة الإبادة الجماعية هي تلك المواقع التي ارتكبت فيها الأعمال الشنيعة أو الوحشية ومواقع النصب التذكارية القريبة منها، أو في بعض الحالات المواقع التي لها علاقة مباشرة بالأعمال الوحشية مثل منزل آنا فرانك؛ وهي كاتبة ألمانية وواحدة من أكثر ضحايا الهولوكوست شهرة، أو بعض المواقع المحايدة مثل متحف ذكرى المحرقة في واشنطن. والهدف من زيارة مثل هذه المواقع كان مزيجاً من غايات تعليمية، بحثية، وتذكارية.

2. **سياحة ساحات القتال:** يمكن القول أن سياحة ساحات القتال أو السياحة المتعلقة بالحرب قد أصبحت أحد نماذج السياحة السوداء أو المظلمة الأكثر تداولاً في السوق السياحية، مدعومة بمجموعة كبيرة من منظّمي الرحلات السياحية المحلية والوطنية لاستغلال الموروث الذي خلفته الحروب وبالتالي تحقيق أرباح تجارية مملّفة. منذ أكثر من ألف عام كانت ساحات القتال والمقابر العسكرية والنصب التذكارية وغيرها من المواقع المرتبطة بالحرب محل اهتمام وجذب، فنذكر مثلاً أن القائد ألكسندر الأكبر قد أوقف سنة 332 ق.م غزوه لآسيا من أجل زيارة مدينة طروادة التاريخية وقبر أخيليس؛ وعليه تم إحياء ذكرى المعارك عبر التاريخ بطريقة أو بأخرى، فنجد مثلاً أن من أكثر المواقع زيارة هو موقع معركة ترموبيل بين الفرس والإغريق سنة 480 قبل الميلاد، موقع معركة هستينكش عام 1066 بين الإنكليز والجيش النورماني، وموقع معركة واترلو

بكونها تحمل مخزوناً من الألم والمعاناة وهي من مميزات السياحة السوداء، وبالتالي ليس من المستغرب أن عدداً من مواقع العبيد في الماضي قد أُمست اليوم مواقع للتراث السياحي، فنجد مثلاً أحد هذه المواقع في كارولينا الشمالية، هناك حيث قام جوزيا كولنز السياسي الأمريكي باستعمال العبيد خلال سنوات 1830-1850 للحفر من أجل إنتاج محصول الأرز. أيضاً في تنيسي نجد آثاراً لمساكن العبيد الذين استعملهم سميت تراهرن المحامي الأمريكي لزراعة التبغ. كما نجد في غانا قصر كاب كوست حيث تم حشد آلاف العبيد هناك قبل نقلهم إلى جزر الهند الغربية، وهذا القصر يحظى اليوم بموقع إلكتروني خاص به وبمتحف خاص. في ذات السياق، تعتبر اليوم قلاع العبيد على طول ساحل غرب إفريقيا أحد أهم وجهات السياحة السوداء بالنسبة للسياح المهتمين بالتراث والثقافة والتاريخ والترفيه والتشويق؛ إذ تشكل هذه الأخيرة ذكرى مادية هامة تعكس التاريخ الطويل والمؤلم للعبودية في قارة إفريقيا، حيث أن العديد من القصور التي أُقيمت هناك كانت تستخدم فيما مضى لحشد العبيد الذين تم القبض عليهم وإعدادهم لنقلهم عبر المحيط الأطلسي نحو الأمريكيتين، حيث كان يتم بيعهم غالباً لاستعمالهم في ميدان الزراعة. تلك القصور أو القلاع متواجدة في أكثر من عشر دول إفريقية، فمثلاً يوجد في غانا حوالي 11 منها، هناك حيث تم حشد الكثير من العبيد الأفارقة في عُرف بالكاد تتسع لمئات الأشخاص، كما كانت هذه الغرف غير مزودة بالتهوية المناسبة أو الإضاءة أو حتى المرافق الضرورية، وكان يتم احتجازهم في هذه الظروف لأشهر طويلة دون عناية أو تغذية ملائمة مما أدى في أغلب الأحيان إلى وفيات كثيرة. وهو ما نراه واضحاً في قلعة كاب كوست التي لم تتعرض كغيرها للتدمير أو السرقة أو التخريب، فبقيت تقريباً على حالها بجدرانها الملطخة بالدماء والأوساخ وسوائل أخرى؛ وعلى السائح أن يكون مستعداً معنوياً ليشهد ما تخزنه

أتاحت الولايات المتحدة الأمريكية إنشاء المتنزعات الوطنية لساحات القتال من خلال تشريع أصدرته سنة 1950، من أجل إحياء ذكرى شجاعة وتضحية أولئك الذين لقوا حتفهم فيها، وسرعان ما أصبحت هذه المواقع وجهة مفضلة للسياح، خاصة موقع معركة جيبستبرغ - التي تعتبر من أهم معارك الحرب الأهلية الأمريكية وأكثرها دموية بين عامي 1861 و 1865- الذي يستقطب سنوياً أكثر من مليوني سائح.

3. **سياحة الرّق أو العبودية: الرّق أو العبودية** هو مصطلح يُشير إلى امتلاك إنسان لإنسان آخر، ويطلق على المالك اسم السّيد وعلى المملوك اسم العبد. يمكن القول أن ظاهرة العبودية هي أقدم من ظاهرة السياحة، إذ تعود أول بوادر العبودية إلى أكثر من 2000 سنة في بلاد الرافدين التي تقع في العراق وسورية وتركيا بين نهري دجلة والفرات والتي كانت تعتبر مهد الحضارات الإنسانية، حيث كانت طبقة الرقيق أو العبيد تتكون أساساً من أسرى الحرب، كما كان يعتبر الرّق أحد مظاهر العقاب أو بمثابة ضمان للوفاء بدين أو عاقبة عدم الوفاء بدين ما؛ كما وجدت العبودية في كل من الحضارة السومرية، البابلية، اليونانية، والرومانية. ومنه كان يُنظر للعبودية في مختلف الحضارات باختلاف عرقها ولونها على أنها أحد مظاهر النشاط الاقتصادي، فكانت المتاجرة بالعبيد والبيع في المزاد العلني ممارسات شائعة في بيزنطة، كما كانت قبائل الأزتيك في الجانب الآخر من الكرة الأرضية يستغلون العبيد ويستعملونهم كقربان (تضحية بشرية) لآلهتهم. أما السياحة وبالرغم من انتشارها الواسع إلا أنها تعتبر أحدث نسبياً من ظاهرة العبودية، إذ يرى البعض أنه على الرغم من وجودها في الحضارتين اليونانية والرومانية إلا أن السياحة بمعناها المعاصر لم تظهر إلا في الآونة الأخيرة؛ غير أن هاتين الظاهرتين يمكن جمعهما من خلال أحد مظاهر أو نماذج السياحة السوداء التي نتناولها في هذه الدراسة، ذلك كون أن العبودية تتميز

أن أغلب هذه المتاحف موجودة في سجون سابقة، وعلى الرغم من الإصلاحات المتعددة التي عرفتھا المنظومة العقابية، إلا أن السجون استخدمت تاريخيا لصب المعاناة على المساجين والمعارضين السياسيين، لذا نجد متاحف السجون تخوض في مختلف جوانب الألم والمعاناة من خلال عرض وسائل التعذيب البدني والذهني المُستخدمة، والتي عادة ما يتم عرض التسلسل الزمني لتطورھا. يقصد بمتاحف السجون أيضا تلك المواقع والأماكن التي تعكس النظام القانوني والعقابي الذي كان سائدا والذي تم نقله إلى الزوار في الحاضر، إذ تجمع بين غايات ترفيهية وتربوية وترتكز على طابع تجاري تسويقي بالاعتماد على بنى تحتية سياحية معينة، كذلك تعتبر متاحف السجون أو المتاحف العقابية أماكن جذب سياحية تسوق لنشاطها من خلال المنشورات والمواقع الإلكترونية الخاصة بها، ومن أشهرها متحف سجن ألكتراز وجزيرة روبن اللذان يعكسان إحدى صور السياحة المظلمة.

5. **مصانع التسلية المظلمة:** إن الأماكن السياحية التي تسعى لإعادة صناعة وتحويل الموت والمعاناة إلى شكل أخف وأكثر متعة وترفيها تسمى بـ "مصانع التسلية المظلمة"، والتي عادة ما تهتم بالظواهر الغريبة أو الخارقة للطبيعة كالأشباح و المخلوقات الفضائية و الشخصيات الخرافية مثل دراكولا و الساحرات؛ ومن أمثلتها متحف ساحرات سالم في الولايات المتحدة الأمريكية وقصر دراكولا في رومانيا، هذا بالإضافة للجولات السياحية إلى الأماكن التي يعتقد أنها مسكن للأشباح،... إلخ. إلى جانب ما سبق، نجد أيضا قلاع وحصون قديمة تمت إعادة تهيئتها كنموذج عن مصانع التسلية السوداء وصورة أخف للسياحة المظلمة، وهي عبارة عن مؤسسات تجارية تنشط في المجال السياحي وتنتمي لمجموعة مرلين للترفيه الكائن مقرها في المملكة المتحدة، والتي تعتبر ثاني أكبر معلم سياحي في العالم بعد ديزني لاند؛ حيث تمتلك 22 مرقفاً سياحياً في 21

هذه الأماكن، إذ على عكس مخلفات العبودية في الولايات المتحدة ومنطقة الكاريبي، لم يتم تهيئة وتجميل قلاع العبيد في إفريقيا لاستقبال السياح بل تُركت على حالها، مما يمنح السائح تجربة فريدة وأكثر واقعية. من الجدير بالذكر أنه وبسبب العلاقة الراسخة للعبودية مع الهوية العرقية، فإنه لا بد من تُوحي عدة اعتبارات عند إدراج هذا النوع من المواضيع الحساسة ضمن دراسات ومناقشات السياحة السوداء.

4. **سياحة السجون:** عادة لا تتفق كلمة سجن مع السياحة والحرية والانطلاق والترفيه، ولكن هناك الكثير من السجون التي تحولت عند إغلاقها إلى مزارات سياحية مثل سجن لندن الذي يزوره الناس من كل أنحاء العالم من أجل السياحة ورؤية الطبيعة الخلابة والمناظر الساحرة. إن زيارة السجون القديمة تعتبر ظاهرة حديثة لأن زيارة سجن ما بعد تحويله إلى متحف أصبح اليوم شكلاً شائعاً من أشكال السياحة والترفيه حول العالم، وقد أطلق على تلك السجون اسم "المتاحف العقابية" مثل متحف سجن الكليبيك في لندن، سجن ألكتراز في الولايات المتحدة، جزيرة روبن في جنوب إفريقيا، سجن فريمانتل في أستراليا... إلخ. يقصد بالمتحف عادة كل مكان مكرس لاقتناء، حفظ، دراسة، وعرض الأدوات والممتلكات ذات القيمة العلمية والتاريخية والفنية، وقد ظهرت متاحف العقابية خلال القرن التاسع عشر كمؤسسات تعليمية عُرضت فيها أدوات وصور بشأن الجرائم ومرتكبيها، مثل صور من مسرح الجريمة والأسلحة والأدوات التي ارتكبت بها؛ وقد استعملت هذه المتاحف وسائل سمعية وبصرية لعرض أبشع أنواع الجرائم. أيضا لا تنحصر سياحة السجون في المتاحف العقابية فحسب، بل تشمل كذلك زيارة المطاعم التي كان يديرها السجناء والإقامة في فنادق السجن. ويشبه متحف السجن أي متحف آخر يتيح للزوار التعرف على الماضي من حيث الزمان والمكان، ويمنحهم فرصة زيارة مكان غير متاح لهم في الحياة اليومية العادية ذلك

دولة و 21 علامة تجارية تؤمن ما يزيد عن 200 ألف فرصة عمل خلال موسم الذروة؛ وقد استضافت سابقا حوالي 11 مليون زائرا سنة 2013. تقود هذه المجموعة أشهر العلامات التجارية الترفيهية في المملكة المتحدة بما في ذلك مراكز الحياة البحرية، قصر وارويك، ومنتجع ألتون تورز، ويقدم كل مرفق من هذه المرافق عروض رعب تبرز بعض أبشع مظاهر التاريخ المرتبطة بموقعها.

V. السياحة السوداء ونظرية السلوك المخطط

إن الدافع السياحي هو عامل حاسم ومهم في عملية صنع قرار السفر، حيث ذكر تارلو (2005) أربعة دوافع أساسية تتفاعل مع الحالة النفسية للسائح السوداوي أو المظلم وهي: عدم الأمان والامتنان والتواضع والتفوق، حيث تؤدي تلك الدوافع المختلفة إلى زيارة السائح للمواقع المظلمة للانخراط في أماكن ما بعد الكارثة، وذلك إما لإشباع الفضول، أو للتعرف على التراث والتاريخ، أو للتحقق من صحة الأحداث، أو للتعلم والترفيه. حقيقة من المهم أن تؤخذ نظرية عوامل الجذب (النفسية-الثقافية) بعين الاعتبار عند محاولة فهم دوافع السائح للسفر وزيارته أماكن السياحة السوداء، حيث يتكون بناء الدوافع من خمسة أبعاد رئيسية هي: التجربة المظلمة، الانخراط في الترفيه، تجربة التعلم الفريدة، الفائدة العرضية، والاستجمام العاطفي. وتشير التجربة المظلمة إلى زيارة الوجهات المتعلقة بالموت والمعاناة والاهتمام بالأحداث غير الطبيعية والغريبة وإعادة الاتصال بأحداث الماضي المظلمة، أما الانخراط في الترفيه فيشير إلى قيمة الترفيه والارتباط العاطفي بالموقع الذي تتم زيارته لتجربة شيء جديد وخارج عن المألوف، بينما تركز تجربة التعلم الفريدة على التعلم وزيادة المعرفة وتجربة جزء من التراث الثقافي والتاريخي، في حين تشير الفائدة العرضية إلى فرصة الفرد لقضاء وقت ممتع مع العائلة والأصدقاء والتمتع بالمناظر الطبيعية، أما الاستجمام العاطفي فيشير إلى فرصة لقاء أشخاص لديهم اهتمامات مماثلة وبالتالي التجدد المعنوي والعاطفي. إن بناء موقف السائح هو جزء من نظرية السلوك المخطط (TPB) التي يتم تطبيقها للتنبؤ بالسلوكيات التي لا تخضع للسيطرة الإرادية الكاملة، وقد أظهرت دراسة بحثية أجريت

في الصين باستخدام نظرية السلوك المخطط أن الموقف السلوكي المتصور والسلوكيات السابقة كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بنوايا سفر المشاركين في الاستطلاع. أيضا يمكن قياس موقف السائح السوداوي عمليا من سمة تتعلق بالنوايا السلوكية الخاصة به؛ مهووس، ممتع، غير عادي، تعليمي، كئيب، عاطفي، ومتطور.

VI. مقومات السياحة السوداء في سورية

لقد ارتبط مفهوم السياحة والسفر بزيارة أبرز المعالم الأثرية وأجمل المحميات والمناظر الطبيعية بغرض الترويح عن النفس وحب الاكتشاف والمغامرة، إلا أن فئة من الناس قد تفضل نوعاً آخر مختلف تماماً عن السياحة العادية، مثل زيارة مواقع وأماكن شهدت أحداثاً دموية أو معارك تاريخية أو حتى كوارث طبيعية، وهذا ما يعرف بالسياحة السوداء التي تسمى أيضا السياحة المظلمة، وهي نوع من السياحة تتمثل في السفر إلى مواقع ومناطق ارتبطت تاريخياً بالموت والمآسي الإنسانية والكوارث والفضائح، وذلك للاطلاع على وجه المأساة الإنسانية و لنقل الوجهة المقيت والبشع والشرير للإنسان، كما تمكننا هذه الزيارات من الوقوف عن قرب على حالة الإنسان عندما يفقد إنسانيته، وتعرفنا على تصرفاته وسلوكياته العدوانية والهمجية. لذا فإن المواقع التي تعد عناصر جذب للسياحة المظلمة هي تلك المواقع التي شهدت انتهاكات لحقوق الإنسان مثل معتقلات التعذيب السرية، مواقع الحروب والمجازر الجماعية، ساحات القتال، معسكرات الاعتقال، أماكن التفجيرات الإرهابية...الخ. أيضا قد تشكل المناطق السوداء (مناطق الظل) -التي تعرف مستويات شبه معدومة من التنمية وتحمل العنف والاستغلال وتدني للكرامة الإنسانية ومظاهر الظلم والمجاعات- مادة خام وعنصر جذب سياحي هام لهذا النوع من السياحة. كما يمكن أن تمتد السياحة السوداء أيضا لتشمل مخلفات الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والتلوث البحري والبيئي وما يمكن أن يخلفه ذلك من آثار سلبية على السكان المحليين، فقد يذهب الناس إلى مواقع السياحة المظلمة لرؤية الأوضاع على حقيقتها: كيف عاش الناس؟ كيف مر الموت من هنا؟ وما هي الحكايات والقصص والأساطير التي خلفها وراءه؟ إن السفر إلى مواقع السياحة السوداء أو المظلمة يكون بهدف تقييمها تاريخيا والتعرف على بشاعة وخطورة الإنسان عندما يفقد إنسانيته،

السياحية والترويج لزيارتها للوقوف على نمط حياة سكانها البدائية الذين فضلوا الاستقرار والعيش في هذه الأماكن.

VII. خاتمة

شهدت مواقع السياحة السوداء حول العالم زيادة مضطردة في أعداد السياح ممن هم مفعمون بالفضول وحب الاستكشاف والمغامرة حيث يجد بعضهم متعة في زيارة مثل هذه المواقع، فمنهم من يريد توسيع أفق معرفته ومنهم من يريد خوض التجربة بنفسه. حقيقة تمتلك السياحة السوداء في سورية إمكانات هائلة، لذا يجب على الحكومة توفير الأموال والتسهيلات اللازمة لإعداد البنية التحتية والترويج لتلك السياحة، حيث يتطلب الأمر في البداية الإقرار الرسمي بأهميتها بقصد إثراء الخريطة السياحية بها، ومن ثم يجب العمل على نشر الوعي بأهمية السياحة السوداء ومواقعها بين أفراد المجتمع والتشجيع على زيارتها عبر تنظيم الزيارات الجماعية وبأسعار معقولة. كما يجب القيام بجدد أهم المواقع السياحية المظلمة وتطوير بيئتها التحتية ودعمها بالخدمات اللازمة لاستقبال السياح من الداخل والخارج، مع ضرورة التسويق لهذه المواقع عبر مختلف السفارات في الخارج والوسائل الإعلامية المتاحة. أيضا يجب التنسيق بين مختلف القطاعات والوزارات لرسم استراتيجية واضحة وعملية بقصد إطلاق وتطوير هذا النوع من السياحة والذي يعود بالنفع على الأفراد والدولة والمجتمع.

المراجع

- [1]. حاروش، نور الدين (2011). السياحة المظلمة في سورية: واقعها وآفاقها المستقبلية.
- [2]. درويش، سارة (2018). مناطق الكوارث الطبيعية والحروب والمقابر تجذب عشاق السياحة المظلمة في مصر.
- [3]. مايكل بومان وفيدرا بيزولو (2009). دراسة مترجمة: ما هو الظلام في السياحة المظلمة؟
- [4]. نجا، قاسي (2019). السياحة المظلمة: مقارنة مفاهيمية، جامعة وهران، الجزائر.
- [5]. Khati, Neha (2021). Dark tourism in Uttarakhand, india, 3-12.
- [6]. Lennon, Jhon and Malcolm Foley (2006). Dark Tourism: the Attraction of Death and Disaster, Third Edition, Thomson Learning.
- [7]. Sharpley, Richard (2009). Shedding Light on Dark Tourism: An Introduction. In Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2-3.

فمعتقدات التعذيب ومقابر الإبادة الجماعية المنتشرة حول العالم تجعل الزائر لهذه المناطق يلمس قيمة الحضارة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ومدى أهمية القوانين والتشريعات لضمان حقوق الإنسان في حالات السلم والحرب. وبالتالي فإن الهدف الأهم من زيارة هذه المواقع ليس مشاهدة الموت أو المعاناة بل التماس أهمية القيم الإنسانية والحضارية.

إن الخوض في موضوع السياحة السوداء في سورية يجعلنا نسأل أنفسنا سؤالا هاما: هل تملك سورية مقومات هذه السياحة؟ وما هو السبيل لاستغلال تلك المقومات؟ حقيقة لا تخلو سورية من مواقع وأماكن شبيهة إلى حد التطابق مع ما عرضناه آنفاً، وعليه فإن السياحة السوداء فيها تنتظر فقط الضوء الأخضر لانطلاقها، ويمكن ذكر بعض المواقع على سبيل المثال وليس الحصر سواء تعلق الأمر بمواقع التعذيب والإبادة الجماعية أو أماكن الكوارث الطبيعية أو العمليات الإرهابية والمجازر الجماعية أو حتى زيارة مناطق يعيش سكانها على الهامش. في الواقع تضم سورية مجموعة متنوعة من القلاع والآثار البيزنطية والعثمانية وآثار ما قبل الاسلام التي تدل على ما جرى في التاريخ من آثار تعذيب وقتل جماعي، لذا يمكن إعداد وتهيئة هذه المواقع وجعلها قطبا سياحيا مظلما يساهم في فهم حقيقة ووحشية المحتل الذي لا يزال يتناول على بلدنا إلى يومنا هذا. كما أن مناطق التعذيب أثناء الوجود الاستعماري في سورية مازالت موجودة في كل بلدية تقريبا، بحيث يمكن إحصائها وجردها ووضعها على الخريطة السياحية، دون أن ننسى جرائم ومجازر الإرهاب المدعوم من قبل المستعمرين في العصر الحديث، مثل مجزرة جسر الشغور وسجن حلب المركزي ومنطقة عدرا العمالية ومشفى الكندي والمناطق الأخرى التي عرفت مجازر مماثلة خلال العشرية الدموية التي شهدت الإرهاب الأسود والتفجيرات في الأماكن العمومية والاعتقالات التي طالت الشخصيات والرموز الدينية والوطنية وحتى الكفاءات العلمية. يمكن كذلك إدراج بعض المناطق النائية والمهمشة (مناطق الظل) والتي لم تتل حظها حتى الآن من التنمية وبقيت تعيش على الهامش كونها جبلية أو بعيدة عن النسيج العمراني وخارج مجال التنمية، بحيث يمكن جردها ووضعها على الخريطة

- [8]. Turner, Jennifer and Kimberley Peters(2015). Unlocking Carceral Atmospheres: Designing Visual/Material Encounters at the Prison Museum, Visual Communication, 14(3), 309-330.

JM